

السلوك الأخلاقي

تعريف السلوك الأخلاقي

الخلق صفة مستقرة في النفس فطرية أو مكتسبة ذات آثار في السلوك ؛ محمودة أو مذمومة^(١)

أما السلوك؛ فهو المظهر الخارجي لصفة الخلق. هو صورة النفس الظاهرة الذي يدرك بالبصر، فمن كان خلقه محموداً كان سلوكه محموداً والعكس صحيح^(٢)

لمحة تاريخية:

إن موضوع الأخلاق وما ينتج عنه من سلوك؛ كأنما اختص به وطننا العربي منذ الأزمنة السحيقة في القدم، وذلك لأمر يريده الله تعالى ؛ أن يجعل هذا الوطن ووطن الأخلاق الفاضلة والسلوك القويم وطن مكارم الأخلاق، (فقد تنزلت في أرض العرب ديانة إبراهيم - عليه السلام - وهي الديانة التي دعت إلى التوحيد ووطدت دعائمه،

(١) الثقافة الإسلامية للشيخ حسن حبنكة والشيخ محمد الغزالي ط ١٤٣٠ ص ١٨١.

(٢) الموسوعة الجامعة في الأخلاق والآداب. سعود بن عبد الله الحزيمي ج ١ ص ٢٢.

الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية

فكانت القاعدة الأولى القديمة والمستقر الأول لعقائد العرب وأخلاقها.

وبعد أن بعث الله المسيح عليه السلام في فلسطين ، وصلت أصداء رسالته إلى العرب فدان فريق منهم بها..
وظهر الإسلام مصداقاً لما بين يديه من النبوات والكتب، ومجدداً ملة إبراهيم عليه السلام، وهكذا توالى الديانات والمثل الروحية والمبادئ الخلقية، وتلاحقت، وكان صعيد بلادنا - الجزيرة العربية - مسقطها ومستودعها ومجتمعها، وذلك بربط الإنسان قلبه وعقله وشعوره بالله الخالق.

لقد ارتبطت مكارم الأخلاق عند العرب، وتفضيل القيم الخلقية عندهم، بأساس عقائدي عميق الجذور في نفوسهم منذ عصور بعيدة جداً.

ولذلك؛ فإن الوثنية دخيلة طارئة على العرب في فترات قصيرة قليلة من حياتهم.

لقد كانت معارك الأمة العربية الكبرى معارك يكون فيها الخصم دوماً عدو القيم الخلقية والمثل الروحية، ويقف العرب دوماً مدافعين عنها.

إن العالم اليوم بحاجة إلينا، بحاجة إلى هذا التراث الذي نحرسه ونحن الأوصياء عليه؛ أما العالم الشرقي الإسلامي فليصحح له العرب ما شوهه من تعاليم الإسلام..
وأما العالم الغربي، فلنعد إليه روح الإيمان والأخلاق ونبعث فيه العواطف الإنسانية والمبادئ الخلقية المنبعثة من هذا الإيمان، وقد نسيها كذلك وشوهها، بل مسخها وقلبها ثم طردها بعد ذلك من أرضه.

لقد بشرت الفلسفة الحديثة بانهايار حضارة الغرب منهم مالك بن نبي - الجزائري - وخلاصة فلسفته: أن الحضارة الغربية قد آلت إلى إفلاس،.. والحضارة اليوم تنتظر ظهور الإنسان الجديد، الذي رسالته التوفيق بين العلم والضمير، بين الأخلاق والصناعة^(١)

الآثار السلبية للثورة الصناعية في أوروبا:

(١) أفكار من المدينة المنورة محمد كامل خجا ط٤٠٠هـ ص ٢٨

أولاً:

خروج المرأة عن الحشمة والتستر.

في عصر ما قبل الثورة الصناعية في الغرب كانت المرأة الغربية محتشمة في لباسها، يستر جسمها كله من مفرق رأسها حتى أخمص قدميها، وكانت أخلاق ستر المرأة سائدة في البشرية كلها، ولم يعرف عنها أنها كانت متبذلة حتى في أحط المجتمعات البشرية.

ولكن بعد الثورة الصناعية، بدأت المرأة تزاحم الرجال في المصانع وفي الحقول تعمل وتكد وتكدح جنباً إلى جنب مع الرجل، وخرجت عن التستر.

ثانياً:

قوي دافع إنسان الغرب إلى الانتحار:

(وفي عصر الصناعة استجدت مفهومات، واندثرت أخرى، وتغيرت أوضاع بقيام المخترعات فتغير نظام الإنسان في الغرب؛ كان يغفو مع الطبيعة، ويستيقظ مع تنفس الصبح وتبلج الضياء، يستقبل الشمس على غناء البلابل وبنات الهديل وزقزقة العصافير، في مهرجان الكون الباسم،

والفراش يتأنق بأجنحته المخملية متنعماً بدفء خيوط النور،
ذلك الدفء اللذيذ بعد برد السحر، والنحل يزهى بجناحيه
كألوان الطيف، يقبل ثغر الريحان الوسنان، ونسيم الصبا
يعابث الأزهار فيبعث بالحيوية والحياة والحب والأمل مع
إشراقه كل صبح جديد.

هذه التجليات الجمالية كلها مسخت من نفس إنسان
الغرب، فتتنفس ريح السيارات، وصك مسامعه ضوضاء
المصانع، وحجب عنه الهواء والشمس فتعكر مزاجه، وقتل
في نفسه الصفاء، وذبل روحه فهرب من واقعه إلى الطبيعة
كما تهيأ هو نفسه أن يهرب من الحياة لصدمة نفسية، أو
فقد حبيب، ويزداد الضغط على الإنسان يوماً بعد يوم حتى
قوي لديه الدافع إلى الانتحار بسبب ضغط الحياة على نفسه
وروحه^(١)

ثالثاً:

أن أوروبا اصطدمت بحاجزين:

(١) ملحمة بدر د. أحمد الخاني ج ١ ط ٢ ص ١٢

آ. العقل: إذ ألهمته وظهر هذا في معاجم العلماء من مفردات تدل على الشطط في تأليه العقل كقولهم: قاهر قمة إفرست وقولهم: (شالنجر) للمركبة التي صعدت إلى الفضاء، كان من الجدير بهم أن يقولوا: بفضل الله فعلنا هذا، وبعون الله فعلنا كذا، لأن الله تعالى سخر لنا ما في الأرض جميعاً بسلطان العلم قال تعالى: "يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان" الرحمن ٣٣: ويقول تعالى "وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً" الإسراء: ٨٥

قاهر الطبيعة، قاهر الصحراء... عبارات فيها التحدي، ولذلك انفجر شالنجر بعد بضع ثواني من إقلاعه، وكذلك باخرة تايترك، التي قال من صنعها: إن الله لا يستطيع أن يغرقها. قال بعض العلماء: إن جبل الثلج الذي اصطدمت به الباخرة قد بدأ بالتكوين مع صنع هذه الباخرة.

ب. الحاجز الثاني حاجز الأخلاق:

فلما قامت الثورة الصناعية في أوروبا، كانت الأخلاق سائدة، فاصطدمت بهذا الحاجز العنيف، فكثرت البغاء والقتل والقتال.

في الحرب العالمية الأولى:

بدأ هذا التحول وبالتحديد، بدأ في السنة الثانية للحرب

١٩١٥م، وسبب ذلك يبينه النص التالي:

(إن ميدان الحرب يقذف أمواتاً ومشوهين، وإن هذا يستوجب التعويض عن المفقود، وكان يقذف خراطيش فارغة، وهذه في حاجة إلى التعويض عنها أيضاً، فهل هناك من يعوض؟ إن الرجال يستطيعون القتال، إذا فعلهم بالجبهة وتعويض الخسائر، أما النساء؛ فينبغي أن يكون في مقدورهن التعويض عن الخراطيش.

وهكذا تم. لقد أدخلت المرأة العاملة إلى مصانع الذخيرة، وبهذا، انقلبت من مخلوق ناعم، كله رقة، إلى عامل خشن الراحتين، يشتغل بصناعة القتل؛ لقد قصصن شعورهن، وقصرن التناير أكثر فأكثر، وارتدين البنطون، وعملن في نوبات الليل وصار (الخاكي) هو الزي الرسمي لعاملات الحكومة، وهكذا بدأ (استرجال) المرأة الإنكليزية، استبدلت الحكومة في أعمال المكاتب الحكومية المرأة

بالرجل، فوظفت آلاف الضاربات على الآلة الكاتبة
والسكرتيرات وعاملات التلفون...

وحذت الدول المتحاربة حذو بريطانيا بعد وقت قصير^(١)

لقد ذاق (الإنسان) في هذه الحرب ما لم تعهده البشرية من
ويلات، فقد كانت قلعة فيها عشرة آلاف، وفي بضع ثوان
طارت في السماء وصارت تمطر حجارة ورؤوساً وأكفاً
وأقداماً ودماء، وكثر إلى جانب القتل الانتحار، ومن مات
قيل له: السعيد، وقد خط أحد الجنود في خطوط النار، إلى
أسرته هذه الرسالة: (الرسالة)

يا حبيبي أخط مني خطاباً	وفم الجرح قد تلظى التهاباً
(روز) يا حلوتي، حبيبة عمري	في (جحيم) أنا، أذقت الشراباً؟
فارتوائي من السراب بكأس	نخب قتل، فهل شربت السراباً؟
إيه يا روز، والجريح بدمع	من دماء، وأنت لا ذقت صاباً
كيف (سيلي)؟ أما تزال تناغي؟	أكتب الآن باقتناص فراغي
أفتدرين ما يخبأ إلينا	في بكور يزورنا بالرواغ؟

(١) الحرب العالمية الأولى عمر الديراوي ص ١٤٧.

لعب الموت لعبة القتل فينا
إيه سيلبي، إذا أبوك يولي

كل صبح به مخيف بلاغ
فانثري الزهر والعني كل باغي

روز، روهي، أيا شريكة دهري
إن قضى الموت بيننا يا حبيبي

أنت صحوي وأنت نهلة خمري
حب سيلبي مع المواجد عطري

وهي ظلي ومقلتاي وزهري
فامنحها الدمى ببسمة قلب

لترى بسمة الدنى بعد عمري

واجعلي هيئتي كبعض دماها
ولأكن باسماً بدمية حب

لترى صورتني كطيف نداها
تبسم الروح والبراعم زهر

صرت ذخراً على رفيف صباها
هل دهتها مواجع الدمع؟ لطفاً

سوف تذوي إذا العُبوس رواها
تزدهي (سيل) إن تلهت برسمي

جنبها النسيم إن آذاها
دمية نحن في الحياة غدونا

مثلها اللاعبون في دم قلبي
لندوس الأقدام درياً طرياً

ودمانا تُرش في كل درب
لم يريدوا مع الحياة حياتي

وندياً بعاطر مستحب
كل ذنبي أن ليس لي أي ذنب

أغدا الموت بالقتال خديني؟

ألهيب الإنسان لا يكويني؟

فأنا والرماد، لا تنثريني

وبهتان أدمع كفنيني

ثار منها مع الدموع هيامي

فطيوف الحبيب تهمني أمامي

ليت تدرين ما فتات طعامي

ومساء على بقايا عظام

أين أمي؟ يا ليت لم تلديني

تلدين الأزهار للنار حرقاً؟

لندن الحب، كيف عافت بنيتها؟

وإلى الصدر بالحنان خديني

روز ضمي، رسالة المستهام

وفؤادي مع الرسالة ظامي

أفتشكين في بعادي جوعاً؟

أنا أقتات راغماً كل صبح

قد وقيت الملاما

ثم شهراً فعاما

وشربنا مداً

وغدونا طعاما

لست أدري إلى ما؟

طالت الحرب يوماً

ليس يدري مداها

دون خمر سكرنا

لهمومي.. وأنجمي

شربت من مدامعي

أنا إن مت فالردى

فإليكم رسالتي

مضغت مخ أعظمي

يا حبيبي ألا اعلمي

راحتي من تألمي

صغتها الآن من دمي

وانبرت بدعة السكرتيرات بدل الرجال، وظهر الجنس الثالث. لا هم من الرجال، ولا من النساء.

واسترجلت النساء

قيل:نفديك من جبان سخي

وبدا القتل باندفاع عنيف

سوف يفضى من الرجال نزي

لم تزود إلى الردى بالحتوف

ثم طارت رسالة من عريف

أين منا الرجال؟ لا من مجيب

(لندن) الحرب في نزي وتين

فخطوط القتال أضحت سرا

سكرتيراتنا، فقيل: غباء

كيف يضرى مع الحروب البهاء؟

كيف يشقى مع البلاء الحياء؟

سوف تغدو مع الرجال النساء

وتمادى النقاش فيهم صراخا:

إنه الزهر بالعطور حياء

كيف يغدون، والبيوت وقاء؟

يتهامسن بالهوى المحراق

والفساتين في أتون احتراق

لا (التنانير) بالهوى المهراق

لا مساء بعنقه الدفاق

لاكتساح المجال بعد المجال

تصنع الموت في خطوط القتال

من نساء يزدن عنف النضال

ذاك فعل النساء شبه الرجال

فغدا الحب أخرسا

لا كما كان أملسا

جلجل الصوت أشرسا

وبدا الجنس أخنسا

تلك أم وزوجة وفتاة

وذهبن الصباح للحلاق

وجززن الشعور، عدن رجالا

ولبسن البنطال (خاكي) شعار

نوبة الحب والسهاد صباحا

وغدت تزحف النساء رويدا

عاملات إلى المصانع سالت

فالخراطيش والقنابل هدي

أمهات يلدن موتا زؤاما

ضمير الثدي بالنسا

وبدا الخد أجعدا

أنبت الوجه زرعه

طري في الوجه شارب

لقد ضاقت آفاق نسيم الحياة في أوربا، وحجبت سحب
الدخان من مصانع القتل شمس النهار، وتغير سلوك الإنسان،
فلا هو إنسان، ولا هو آلة، وإنما هو بين بين؛ هو إنسان له
لحم ودم، ولكن ليس له إحساس الإنسان بوجوده وأدميته
وإنسانيته، بل له إحساس الآلة الصماء، وقد تمنى أن يرى
الحياة بعيدة عن الإرهاق والإرهاب والقتل، ولو في يوم واحد،
يوم عطلته الأسبوعية، فكان له هذا اليوم مستودع آماله
كلها.

أحلام الشباب المكبوت

مصنع ضم للرجال نساءً	آه (روبرت)، قد تعبت مساء
يا رفيقي، فما ترى لهماومي؟	صار عزمي مع الدوار خواء
جلجلات الآلات تسحق روحي	لم أر اليوم في النهار السماء
سوف يغشى عليّ، مُد ذراعاً	يا صديقي، قد صار عزمي عياء
قهقهت (وود): لم أعد بعدُ معنى	من معاني أنوثة الريم عينا
أنا وود، غدوت بالجسم شهباً	لرجال، لسوف نقرع سنا

أنتِ أنثى؟ أيا غرام حبيب! أنتِ أنثى؟ أيا غرام حبيب!
ننشد الحب؟ فالأحاسيس ماتت نشد الحب؟ فالأحاسيس ماتت
في حروب، أنشد الموت أمنا؟ في حروب، أنشد الموت أمنا؟
أتغني مواجد الحب فنا؟ أتغني مواجد الحب فنا؟

أوقفا آلة الردى أوقفا آلة الردى
أه، روعي وراحتي أه، روعي وراحتي
أن نرى الجو مشمساً أن نرى الجو مشمساً
ونرى المرج زاهياً ونرى المرج زاهياً
وهذا الروح منشدا: وهذا الروح منشدا:
ما أحيلى وأسعدا! ما أحيلى وأسعدا!
إذ غدا القلب جلمدا إذ غدا القلب جلمدا
نسمع الطير غردا نسمع الطير غردا

آه يا وود، والصباح بليل آه يا وود، والصباح بليل
زهروض الجمال بالحرب يدوي زهروض الجمال بالحرب يدوي
جود هذا الزمان بالحرب ولي جود هذا الزمان بالحرب ولي
لو وجود الزمان نرحل صباحاً لو وجود الزمان نرحل صباحاً
غدنا الحب؛ عاطر وجميل غدنا الحب؛ عاطر وجميل
إن غصني من الهموم نحيل إن غصني من الهموم نحيل
فهو اليوم؛ حاسد وبخيل فهو اليوم؛ حاسد وبخيل
لمروج، وأين أين الرحيل؟! لمروج، وأين أين الرحيل?!
بسمت وود للخيال رضىاً: بسمت وود للخيال رضىاً:
(أحد) في الوجود عيد حبيب (أحد) في الوجود عيد حبيب
لو صحونا الصباح مدت خطانا لو صحونا الصباح مدت خطانا
يا طيوف السلام، زوري جفوني يا طيوف السلام، زوري جفوني

آه، روبرت، فاستمل لي مليا آه، روبرت، فاستمل لي مليا
برعم الصخر في وجودي نديا برعم الصخر في وجودي نديا
كفراش مع الجمال طريا كفراش مع الجمال طريا
لم نذق بالحروب نوماً هنيا لم نذق بالحروب نوماً هنيا

بسمت وود ثم قالت: رؤايا
أه يا وود، من جهنم نضح
قالت: الشرق؟ نضحة النار جنت
عندنا الغرب للحروب أتون

نحو بحر البلطيق طار هوايا
لو إلى الشرق قد تهيم خطايا
وشمال الأكوان تعوي المنايا
أين نهمي؟ وأين وجه المطايا؟

آه يا وود، إنني حيرانُ
فكسته ابتسامة نسج روح:
في أعالي الأفلاك قامت حروب
لم يكن في الحياة ظنُّ البرايا

لو لـ (فينوس) عصر حان أمان
آه روبرت.. ما يفيد البيان؟
وعقول، وتفتك النيران
أنما القتلُ حيثما الإنسانُ

في الحرب العالمية الثانية:

وفي نهاية الحرب العالمية الثانية، ألقى قنبلتان ذريتان
أزهقت أرواح أكثر من ربع مليون إنسان في بضع ثوان،

الأخلاق الإسلامية وأهميتها للحياة الإنسانية

وما زالت الآثار الجانبية لهذه الجريمة ممتدة في الأجيال المتعاقبة في اليابان حتى اليوم.

فالحضارة الغربية لا تعرف إلا القتل، وما ذلك إلا لأنها أفلست من الأخلاق. بينما نرى أن الحضارة الإسلامية لما ارتقت في أخلاقها وسلوكها ساد الأمن والأمان والحب والسلام في المجتمع الإسلامي والمجتمع الإنساني على السواء.

تطبيقات

- ١- ما تعريف الخلق؟
- ٢- ما تعريف السلوك؟
- ٣- الخلق صفة من صفات النفس الباطنة ، كيف يدرك؟
- ٤- ما خلاصة نظرية مالك بن نبي
- ٥- عدد الآثار السلبية للثورة الصناعية في أوروبا.
- ٦- بين كيف كان وضع المرأة في أوروبا قبل الثورة الصناعية وبعدها.
- ٧- لماذا قوي دافع الانتحار لدى إنسان الغرب ؟
- ٨- كيف ألهمت أوروبا العقل؟
- ٩- بماذا صارت الحضارة الغربية لا تعرف القتل ؟
- ١٠- اكتب مقالا تحت عنوان:
(السلوك الأخلاقي).